النيف في العـــدد

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

في مقالة (أبو العلاء المعري) في الرسالة الغراء ٦٠٤ في الحاشية رويت هذا الخبر في (الموشح) :

« نظر يعقوب الكندي في شعر أبي تمام فقال : هذا رجل يموت قبل حينه ؛ لأنه حمل على كيانه بالفكر . ويقال : إن أبا تمام مات لنيف وثلاثين سنة »

فقال لي في القاهرة عالم كبير : (لثلاثين سنة ونيف) .

فقلت : هذا ما جاء في (لسان العرب) — عنيت المعجم — ولكن المبرد في (الكامل) في مواضع كثيرة قدم هذا المؤخر . ومثله غيره من الأدباء وكتاب السير والمؤرخين والعلماء . والذي ورد في (الموشح) هو كلام الإمام المرزباني لاريب فيه ، ولا تبديل وقد بعثني تنبيه ذلك العالم على إملاء هذه الأحرف .

لم تجيء (النيف) مع العدد — حسب ظني — في كلام جاهلي أو إسلامي متقدم ، فهي في هذا الاستعمال إسلامية متأخرة أو مولدة متقدمة . وإذا صاحبت قولاً جاهلياً أو إسلامياً متقدماً فقل : إنه مصوغ أو مبدل أوهو من عند راويه المحدث . ذكر المسعودي في (المروج) هذه الجمل من خطبة منسوبة إلى علي (رضي الله عنه) :

« وقد زعمت قريش أن ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحروب . تربت أيديهم ! وهل فيهم أشد مراساً لها مني ، لقد نهضت فيها وما بلغت الثلاثين ، وها أنا ذا قد أربيت على نيف وستين »

ورواية الرضي في (المجموعة النهجية) « وها أنا ذا قد ذرّفت على الستين » ، ورواية المبرد في (الكامل) : « ولقد نيّفت اليوم على الستين »

فإن قال الإمام ما قال فليس هناك إلا (ذرفت أو نيفت على الستين) فاعرف ذلك ولا تثق بما روى المسعودي[1]

لم يقل ابن دريد في كتابه (جمهرة اللغة) — وهو أقدم معجم بعد العين — في النيف إلا هذا : « النيف الزيادة من قولهم نيفت على السبعين أي زدت عليها » ولم يزد ...

ولم يحدث سيبويه في (الكتاب) ولا ابن سيده في (المخصص) عن تلكم اللفظة في باب العدد بشيء .

يقول الجوهري في صحاحه : « النيف الزيادة ، يخفف ويشدد ، وأصله من الواو ، يقال : عشرة ونيف ومئة ونيف » .

وقال اللسان : « الأزهري : يقال : هذه مئة ونيف — بتشديد الياء — أي زيادة ، وعوام الناس يخففون فيقولون ونيف ، وهو لحن عند الفصحاء . الأصمعي : النيّف والنيْف كيت وميت . قال اللحياني : يقال : عشرون ونيف ومئة ونيف وألف ونيف ، ولا يقال إلا بعد عقد .

وفي (المصباح) : قال أبو العباس : الذي حصلناه من أقاويل حذاق البصريين والكوفيين أن النيف من واحد إلى ثلاث ، والبضع من أربع إلى تسع ، ولا يقال نيف إلا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومئة ونيف وألف ونيف .

وفي (همع الهوامع) : هما — يعني البضع والبضعة — من ثلاث إلى تسع ، وبذلك فارقه النيف فإنه من واحد وفارقه أيضاً في أنه يكون للمذكر والمؤنث بغير هاء .

فالنيف كما يستدل مما أورده الجوهري والأزهري واللحياني والفيومي — تتأخر ولا تتقدم ، تعطف على العدد ، ولا يعطف عليها . وقد قدم المبرد فقال في كامله (رغبة الآمل ج ٣ ص ١٨١ : ... فقال الحسن ونحن إذ ذاك نجري على نيف وسبعين ألف ملاح . ومثل ذلك في ج ٤ ص ١٩٧ وج ٧ ص ٢٤٤ وفي ج ٨ ص ٩٥ وأنا أروي هذا الخبر بكماله إكراماً لبطولة المهلب وبنيه ورجاله وبطولة قوم شجعان يقول شاعرهم وقائدهم :

ألا أيها الباغي البراز تقربن ... أساقك بالموت الزعاف المقشبا
فإني تساق الموت في الحرب سبة ... على شاربيه فاسقني منه واشربا

قال أبو العباس :

وجّه الحجاج إلى المهلب رجلين أحدهما من كلب ، والآخر من سُليم يستحثانه بالقتال ، فقال المهلب متمثلا :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وقال ليزيد : حركهم ، فحركهم فتهايجوا وذلك في قرية من قرى إصطخر ، فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشك فخذه بالسرج ، فقال المهلب للسلمي والكلبي : كيف نقاتل قوماً هذا طعنهم ! وحمل يزيد عليهم ، وقد جاء الرُّقاد ، وهو

(١) مما هو عريق في المين والتأنيق خبر مروان بن الحكم حين عزله معاوية (رضي الله عنه) عن المدينة — رواه العباسي في معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٩٥ — وقد جاء فيه : « فرويداً رويدا قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين وإنما هي أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ... » والقول يروى لمن حديث مصوغ .